الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ٤ ابريل ٢٠٠٥

في الذكرى الـ 30 للحرب

هل يوحد دم الحريري جميع اللبنانيين؟

ما حدث منذ اغتيال الحريري وحتى اليوم يوحي بأن اللبنانيين مصممون على عدم العودة إلى أتون الحرب

نصر طه مصطفى *

تحل بعد أيام الذكرى الثلاثين لاندلاع الحرب الأهلية اللبنانية في 13 إبريل/ نيسان 1975 في وقت يعيش فيه لبنان أجواء مقلقة متوترة تجعلنا نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً على هذا البلد الذي لم ينس بعد معاناته من تلك الحرب الأهلية الطويلة التي أكلت الأخضر واليابس واستمرت أكثر من خمسة عشر عاماً شهد لبنان خلالها تصفية حسابات دولية وإقليمية على أراضيه ودفع أثماناً غالية لخلافات سياسية لم يكن معنياً بها وجرت على أرضه بروفات لمشاريع تمزيق وتجزئة لم يكتب لها النجاح!

بالتأكيد لا يمكن اعتبار حادثة اغتيال الرئيس رفيق الحريري أمراً عابراً أو عادياً بل هو أخطر ما شهده لبنان طوال الخمسة عشر عاماً الماضية إن لم يكن طوال الثلاثين عاماً الماضية ليس لأن الحريري هو أحد صناع الطائف وصانع النهضة اللبنانية الحديثة فقط، لكن لأنه وذلك الأهم مهندس وراعي الاستقرار السياسي اللبناني من حيث قدرته على تجاوز اللغة الطائفية بنجاحه في تشكيل كتلة نيابية واسعة وكبيرة ذات طابع وطني، كانت كل المؤشرات تؤكد استمراره في هذا النهج بإطار أوسع من سابقه وخاصة بعد الإصرار السوري على التمديد اللادستوري للرئيس اللبناني إميل لحود، الأمر الذي جعل خيارات الحريري محدودة فوجد نفسه مضطراً للوقوف ضد سوريا للمرة الأولى ليكون المهندس الحقيقي للقرار الدولي (1559) حتى إن لم يظهر في الواجهة. وفي ظل ذلك كله يبرز التساؤل المنطقي: هل سيعود لبنان إلى دوامة الحرب الأهلية من جديد؟

كل شيء ممكن طبعاً، لكن ما حدث منذ اغتيال الحريري وحتى اليوم يوحي بأن اللبنانيين مصممون على عدم العودة إلى أتون الحرب وأنهم استطاعوا أن يوصلوا رسالة قوية من خلال المظاهرة الكبرى التي أقامتها المعارضة بمناسبة مرور شهر على مقتل الحريري، مضمون هذه الرسالة يتلخص في تضامن معظم الطوائف اللبنانية مسيحية ومسلمة واتخاذها موقفاً موحداً، بل ونجاحها من خلال المظاهرة نفسها في امتصاص أي أزمة مع الشيعة برسالة ذكية وجهتها بهية الحريري إلى حركة أمل وحزب الله.

ولاشك في أن في الضغط الدولي والعربي الذي تعرضت له سوريا لسحب قواتها من لبنان والتزامها بإنجاز ذلك فعلاً قبل شهر مايو/أيار المقبل، سيجعل جميع اللبنانيين يفكرون بجدية في مستقبلهم وسيضطرهم للوقوف بجدية أمام هذا المتغير الاستراتيجي الكبير للتعاطي معه بمسؤولية، وقد رأينا كيف صمت معظم النواب الموالين لسوريا أثناء الجلسة النيابية التي استقال في نهايتها رئيس الوزراء عمر كرامي، بل وسارع بعض الوزراء في الليلة نفسها للإدلاء بتصريحات تؤكد أنهم كانوا على وشك الاستقالة أو أنهم كانوا يفكرون فيها، بمعنى أنهم أدركوا أن المناخ المحيط لم يعد في مصلحة استمرارهم على المواقف السابقة نفسها، خاصة أن اغتيال الحريري أدى إلى زيادة السخط والغضب في الشارع اللبناني وليس إلى الاستكانة والمزيد من الخوف والرعب من زيادة التدخل السوري، رغم أن كل المؤشرات تؤكد أن النظام السوري لا يمكنه التورط في جريمة اغتيال الحريري بأي حال من الأحوال وهذا ما أكده تقرير المحققين

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الدوليين الذين ابتعثهم أمين عام الأمم المتحدة والذي حمّل سوريا مسؤولية التوتر الذي سبق حادث الاغتيال، ولم يقل أكثر من ذلك!

إذا فليس أمام اللبنانيين سوى التوحد ونزع أي ألغام يمكن ان تفجر وحدتهم الوطنية، وها هي المؤشرات في هذا الاتجاه تتزايد، فالرئيس لحود أخذ يعيد النظر في مواقفه شيئاً فشيئاً وسيجد نفسه المسؤول الأول عن إزالة تلك الألغام من خلال توازن مواقفه بين المعارضة التي تطالب بسرعة انسحاب القوات السورية والموالاة التي تحاول الاحتفاظ بماء الوجه من خلال موقفها باتجاه مد الجسور مع المعارضة رغم استنادها - أي الموالاة - إلى موقف طرف نوعي هو (حزب الله) الذي لا يمكن تجاوزه ولا التغاضي عن مواقفه رغم الانسحاب السوري وهذا ما تدركه المعارضة جيداً.

من الحكمة ألا تركن المعارضة اللبنانية سواء إلى الخارج أو إلى الداخل أو إلى الشارع في استمرار تشدد مواقفها، فسوريا بغض النظر عن أية ممارسات سلبية قام بها مسؤولون سوريون - كان لها الدور الأساسي في الحفاظ على وحدة لبنان وفي توفير ضمانات مصالحها في لبنان، ولا تجعل من لبنان منطلقاً لمعاقبة سوريا أو الإساءة إليها وألا يتم محاصرة سوريا في زاوية أو «مخنق» تجد نفسها مضطرة من خلاله لتصرفات وإجراءات تدافع بها عن نفسها.

المطلوب اليوم هو سيادة العقل والحكمة لدى كل الأطراف وإثبات جدية هذه الأطراف التي تتمثل في تمهيد الطريق لإجراء الانتخابات النيابية في موعدها التي ستتم بالتأكيد في غياب أي تأثير سوري مباشر بعد انسحاب القوات والاستخبارات السورية.

وفي الذكرى الثلاثين لاندلاع الحرب الأهلية يجب على اللبنانيين أن يقفوا على ضريح الرئيس الحريري بكل طوائفهم، ويتعهدوا بأن هذه الحرب لن تعود ولن يسمحوا لها بالاندلاع من جديد، وأن دمه سيكون آخر دم يراق في سبيل استقرار لبنان واستقلاله.

---

nasrt@hotmail.com

* كاتب يمني

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية